

التفسير المطول - سورة الأعراف ٠٠٧ - الدرس (٦٠-٦٠): تفسير الآيات ٢٠٤ - ٢٠٦ ، كيفية قراءة القرآن الكريم بقراءة التدبر ، وقراءة التعبد

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-٠٢-١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه :

أيها الأخوة الكرام ... مع الدرس الستين وهو الدرس الأخير من دروس سورة الأعراف ، ومع الآية الرابعة بعد المنتين ، وهي قوله تعالى :

(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

أولاً فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه ، هذا كتاب ليس كأى كتاب ، إنه كتاب خالق السماوات والأرض ، هذا كتاب

ليس فيه أي زيغ ، ولا فيه أي شك ، يقين قطعي ، هذا كتاب يجب أن نتلقاه بخصوصيات كثيرة ، من هذه الخصوصيات :

(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ)

(وَأَنْصِتُوا)

الفرق بين سمع واستمع كبير جداً ، أنت حينما تجلس وتأتي بمسجلة وتضع شريطاً وجلست لتستمع هذا شيء ، إن

كنت تمشي في الطريق ووصل إلى أذنك صوت ما من مذياع ، أو من شخص ، هذا سماع ، فالسمع غير مقصود ، أما الاستماع مقصود بذاته .

لذلك ورد في الحديث :

((من استمع إلى قينة))

[ابن عساكر عن أنس]

وهذا من رحمة الله بنا ، من استمع ، الإنسان يمشي في الطريق الأذن مفتوحة ، وقد يأتي صوت قد لا يرغب أن يستمع إليه ، لكنه يسمعه ، لعظمة هذا الكتاب ، قال تعالى :

(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ)

أي اجعل سماع القرآن الكريم مقصوداً ، اجلس كي تستمع القرآن الكريم ، اجلس كي تتأمل في آيات القرآن الكريم ، كي تتفكر في آيات القرآن الكريم .

القرآن الكريم يقدم للإنسان إضاءة لسر وجوده وغاية وجوده ولما بعد الموت :

(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ)

لماذا ؟ لأن الله عز وجل قبل آية واحدة قال :

(هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

(سورة الأعراف)

هذا الكتاب يريك الحق حقاً والباطل باطلاً .

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

يُحْسِبُونَ صُنْعًا)

(سورة الكهف)

هذا القرآن يقدم لك إضاءة لسر وجودك ، لغاية وجودك ، لما بعد الموت ، لماذا خلقت ؟ ماذا ينبغي أن تفعل ؟ ما سبب سلامتك وسعادتك ؟

(بَصَائِرُ)

يقدم لك تفسيراً عميقاً دقيقاً متناسقاً عن الكون ، والحياة ، والإنسان ، يقدم لك حقيقة الخير والشر ، حقيقة الجمال والقبح ، حقيقة العلم والجهل .
لذلك :

(هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ)

من الذي يربيكم ؟ من الذي خلقكم ؟ من الذي أمدكم ؟ من الذي يعتني بكم ؟ من الذي ينقلكم من حال إلى حال ؟

(هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى)

تهتدي به إلى سبل سلامتك .

(يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ)

(سورة المائدة الآية : ١٦)

سلام مع نفسك ، سلام مع أهلك ، سلام مع مجتمعك ، سلام مع من هو فوقك ، ومع من هو دونك ، سلام من أجل صحتك ، من أجل أسرتك ، من أجل سعادتك ، من أجل سلامتك .

الاستماع إلى القرآن الكريم طريق سلامة الإنسان و سعاداته :

(هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

الرحمة مطلق عطاء الله ، الرحمة سكينه ، الرحمة تجلّ ، الرحمة سعادة ، الرحمة أمن ، الرحمة طمأنينة ، الرحمة رضا ، الرحمة تفاؤل ، فهذا القرآن فيه هدى ، فيه رحمة ، فيه بصائر ، لذلك ليس القرآن كتاباً كأي كتاب .

(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ)



استمع ، قد يقرأ القرآن وهناك أصوات أخرى ، يوجد حديث آخر ، مثلاً : القرآن ينطلق من إذاعة ، والمذياع في غرفة الجلوس مثلاً وهناك حديث ، لا ، استمع وأنصت من حولك ،

(فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا)

قد تستمع وهناك أصوات كثيرة تأتي إليك الأولى والأكمل أن تستمتع إلى القرآن ، وألا يدخل إلى الأذن شيء آخر

معه ، وإن كان هذا مستحيلاً ، لكن هذا هو الأدب الكامل مع القرآن الكريم .

(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

لعلكم تسعدون ، لعلكم ترون من خلال آياته الحق حقاً ، والباطل باطلاً ، لعلكم ترون من خلال آياته طريق سلامتكم وطريق سعادتكم ، لعلكم إذا قرأتم آيات القرآن الكريم كان منهجاً لكم ، كان سبيلاً إلى سلامتكم ،

(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

علامة صحة سماعك للقرآن الكريم المبادرة إلى تطبيقه :

أخوانا الكرام ، معنى الاستماع يعني هناك شيء دقيق ، الله عز وجل يريدنا أن نفهم الاستماع على أنه تطبيق ، كيف ؟ قال :

(إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)

(سورة التحريم الآية : ٤)

يعني إصغاء القلوب كان صحيحاً ، لا تعد مستمعاً ، ولا تعد منصتاً ، ولا تعد متلقياً ، إلا إذا انقلبت هذه الآيات من أصوات تستمع إليها إلى سلوك يومي .

أيها الأخوة ، الدقة البالغة أن الإنصات يعني التطبيق ، نأتي بمثل بسيط : إنسان واقف بشكل طبيعي ، أمامه صديقه ، فقال له صديقه : على كتفك عقرب ، لو أن هذا الذي على كتفه عقرب ، بقي هادئاً ، مرتاحاً ، فلما سمع هذه الكلمة قال له : شكراً على هذه الملاحظة ، وأرجو الله أن

يمكنني أن أكافئك عليها ، هل تعتقدون أنه فهم ما قيل له ؟ لو أنه فهم ما قيل له لقفز ، وخلص معطفه، وصاح ، العقرب لدغتها قاتلة أحياناً فلذلك لأنه بقي هادئاً وما تحرك ، ولا خلع معطفه ، ولا اضطرب ، معنى ذلك لم يستمع .

علامة استماعك الحقيقي الانفعال وعلامة الانفعال الحقيقي الحركة :

علامة استماعك الحقيقي الانفعال ، وعلامة الانفعال الحقيقي الحركة .
لذلك بعض العلماء جاء بقانون ، هذا القانون أساسه أن هناك إدراك ، وهناك انفعال ، وهناك سلوك، لا يصح إدراكك إلا إذا نتج عنه انفعال ، إذا في خبر خطير ما تحركت ، قال لك عقرب ما اضطربت ، قال لك أفعى ما مشيت ، ولا تأثرت ، علامة صحة الإدراك الانفعال ، وعلامة صحة الانفعال السلوك ، تتحرك ، إما لقتل الأفعى أو للهروب منها ، أما كلام خطير متعلق بمصيرك ، متعلق بسلامتك ، متعلق بسعادتك لا تتأثر ، هنا المشكلة ، فلذلك :

(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)

(سورة الأنفال)

كأن السماع عند الله عز وجل في القرآن الكريم يعني التطبيق ، علامة صحة سماعك المبادرة إلى التطبيق ،

(إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)

كان إصغاؤها صحيحاً صغت يعني من الإصغاء ،

(إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)

(كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)

أنت في هذا الدرس وأنا معكم إن لم
تتنقلب هذه الآيات إلى سلوك فكأننا ما
سمعنا ، عند الله السماع يعني التطبيق ،
والآيات واضحة

(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا

يَسْمَعُونَ)

وهم عند الله لم يسمعوا ،

(إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)

فإذا قال الله عز وجل :

(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ)

أي اصغوا إلى آياته ، وترجموها إلى سلوك ، قال لك غض بصرك ، غض بصرك .



علامة صحة سماع القرآن .. التطبيق

(فَاسْتَقِمُّ كَمَا أَمَرْتَ)

(سورة هود الآية : ١١٢)

(وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا)

(سورة الحجرات الآية : ١٢)

لا تغترب أخاك ، هذا المعنى الدقيق لكلمة :

(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ)

أي طبقوا ما فيه .

الأدب مع سماع القرآن الكريم :

أيها الأخوة ،

(وَأَنْصِتُوا)

لا تسمح لتداخلات ، وأصوات كثيرة ، وتعليقات ، وأنت تستمع إلى كتاب الله ، هذا كتابنا ، هذا منهجنا ، هذا دستورنا ، هذا كلام خالقنا ، ومرة ثانية فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه .

(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا)

يعني حديث ورفع صوت في غرفة الجلوس ، وأنت تستمع إلى القرآن الكريم ، لا ، أنصتكم ، تعلم الأدب لسماع القرآن ، نجلس لنستمع إلى القرآن الكريم .

(فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

هل تستهين بكلمة

(تُرْحَمُونَ)

ترحمون أي أنت سعيد ، أي أنت حكيم ، أي أنت آمن ، أي أنت موفق ، أي أنت مستجاب الدعوة ، أي أنت متصل بالله ، هذا معنى

(تُرْحَمُونَ)

أنت راض عن ربك ، راض عن وضعك في الدنيا .

الآن هناك من يستمع ولا ينصت ، يسمع قرآناً لكن لا يوجد إنصات ، لا يوجد متابعة ، لا يوجد تدقيق ، لا يوجد تأمل ، لا يوجد تدبر ، يستمع ولا ينصت ، هناك من يستمع وينصت ولا يتعبد ، هذا القرآن تعبدنا الله بقراءته ، كتاب ليس كأى كتاب ، إذا قرأناه نتعبد الله بقراءته .

على الإنسان أن يقرأ القرآن بنية عبادة الله عز وجل بقراءته :



أيها الأخوة :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ)

(سورة الأنعام الآية : ١)

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ
الْكِتَابَ)

(سورة الكهف)

كأن الكون كله بكفة ، وكلام الله جلّ
جلاله بكفة أخرى ، الله عز وجل خلق

الدنيا ونورها بالقرآن ، يشق الطريق ، بعد أن يشق الطريق ، توضع شاخصات ، هنا منعطف
خطر ، هنا جسر ، هنا طريق صاعدة ، هنا طريق زلقة ، انتبه يوجد شاخصات ، فالله عز وجل
خالق الأكوان ونورها بالقرآن الكريم .

(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

يجب أن تقرأ القرآن وأنت بنية أن تعبد الله بقراءته .

على الإنسان أن يقرأ القرآن قراءة تدبر :

لذلك ليست العبرة أن تقول قرأت جزءاً ، اقرأ جزءاً كتلاوة ، اجعل لك قراءتان ، قراءة تدبر ،
وقراءة تعبد ، التعبد أن تقرأ القرآن كل يوم جزء ، جزأين ، وهناك كلمة عند حُفاظ كتاب الله من لم
يقرأ همساً ينس ، يعني ينسى ، حُفاظ كتاب الله يقرؤون كل يوم خمسة أجزاء ، هذه قراءة تعبد ،
أما أنت بحاجة إلى قراءة تدبر ، ولو قرأت في اليومين آية واحدة ، أن تقف عند معانيها ، عند
مدلولاتها ، عند التطبيق العملي لها ، ماذا ينبغي أن تعمل ؟

يعني مثلاً قرأت آية فيها أمر هل انتمرت بما أمر الله ؟ قرأت آية فيها نهى هل انتهيت عما نهى
عنه الله ، قرأت آية فيها وصف لأهل الجنة ، هل تسعى إلى الجنة ؟ قرأت آية فيها وصف لأهل
النار ، هل تفر من النار ولو بشق تمرة ؟ قرأت آية فيها وصف لأمة سلفت عصت ربها فأهلكها
الله ، هل اتعظت بها ؟ قرأت آية فيها من آيات الكون هل تفكرت بها ؟ التدبر أن تأخذ موقفاً من
الآية، الأمر أن تأتمر ، النهي أن تنتهي ، وصف الجنة أن تسعى إلى الجنة ، وصف للنار أن تفر
منها .

على الإنسان أن يستمع وينصت ويتعبد الله أثناء تلاوة القرآن الكريم :

إذاً هناك من يستمع ، وهناك من يضيف إلى الاستماع ، هناك من يسمع ، لو في قرآن يصدق من محل تجاري مثلاً ، أنت سمعت الآية ، هناك من يسمع ، وهناك من يستمع ، هناك من يستمع وينصت ، هناك من يستمع وينصت ويتعبد الله بهذه التلاوة .

مثلاً : سيدنا جعفر يقول كلاماً رائعاً ،
قال : عجبت لمن خاف ولم يفرع إلى
قوله تعالى :

(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ
جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)

(سورة آل عمران)

ماذا قال الله بعد هذه الآية ؟



(فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)

(سورة آل عمران)

لذلك سيدنا جعفر يقول : عجبت لمن يخاف ولم يفرع إلى قوله تعالى :

(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ
الْوَكِيلُ * فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ
عَظِيمٍ)

الاستعانة بالله عز وجل أساس نجاة الإنسان من المصائب :

ثم يقول سيدنا جعفر : وعجبت لمن اغتم ولم يفرع إلى قوله تعالى :

(وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ
إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)

(سورة الأنبياء)

وهو في ظلمة بطن الحوت ، وفي ظلمة الليل ، وفي ظلمة البحر ، في ظلمات ثلاث والأمل بالنجاة
معدوم ،

(فَنادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)

ماذا قال الله بعدها ؟ :

(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الأنبياء)

ف عجبت لمن يخاف ولم يفرع لقوله تعالى ، وقرأ هذه الآية ، و عجت لمن مكر به ولم يفرع إلى قوله تعالى :

(وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ)

(سورة غافر الآية : ٤٤)

المؤمن المستقيم الطائع يفوض أمره إلى الله عز وجل عند مكر الآخرين به :

إذا أنت مؤمن ، مستقيم ، طائع ، محب ، مقبل ، ولك عدو خطير ، وأقوى منك فمكر بك ، ليس لك حل إلا أن تقول :

(وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ)

(إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)

(سورة غافر)

فجاء الجواب :

(فُوقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ)

(سورة غافر)

إذاً حينما يجتمع الناس ضدك

(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)

و عجت لمن اغتم ولم يفرع إلى قوله تعالى :

(وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)

و عجت لمن مكر به ولم يفرع إلى قوله تعالى :

(وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فُوقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ)



بالقرآن تشفى النفوس

أيها الأخوة ، إذاً هذا القرآن فيه شفاء ،
القرآن شفاء للنفوس ، والقرآن فيه طرق
السلامة والسعادة ،

(يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ

السَّلَامِ)

(فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ)

عقله .

(وَلَا يَشْقَى)

(سورة طه الآية : ١٢٣)

نفسه .

(فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

(سورة البقرة)

من تبع هداي لا يخاف مما سيأتي ، ولا يندم على ما سبق ، فمن يتبع هدى الله عز وجل لا يضل
عقله ، ولا تشقى نفسه ، ولا يندم على ما فات ، ولا يخشى مما هو آت .

أيها الأخوة ، الآن عجبت لمن طلب الدنيا ، كما قال سيدنا جعفر ، ولم يفرع إلى قوله تعالى :

(وَلَوْ لَأِذَا دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى

رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ)

(سورة الكهف)

أربع آيات إما أنك تخاف ، أو يُنكر بك ، أو تطلب الدنيا من وجهها الصحيح ، فكل آية جاءت بعدها
آية ،

(فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ)

الإتصات أساسية أثناء سماع القرآن الكريم :

الآن ومعنى

(أَنْصِتُوا)

معنى واسع جداً ، أنصت حينما تتلو القرآن ، لا تستمع إلى غيره ، وهو معك ، أنصت حينما تقرأ
القرآن في الصلاة ، وأنصت حينما تقرأ القرآن في المسجد ، وأنصت إذا استمعت إلى خطيب
المسجد ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((إذا قلتَ لصاحبك يوم الجمعة : أنصتْ - والإمام يخطب - فقد لغوت))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك عن أبي هريرة]

لذلك الآخرون يعجبون من المسلمين ، تجد بالجامع في عشرة آلاف ، فإذا صعد الخطيب المنبر لا تستمع إلى كلمة ، من هذا التوجيه الإلهي ، شيء رائع جداً في حياة المسلمين خطبة الجمعة ، عبادة دعوية ، والكل ينصت ، وقد يكون المتكلم أقل علماء ممن يستمع الخطبة أحياناً ، يكون في أستاذ جامعي ، يكون في إنسان ذو رتبة عالية في الجامعة ، ينصت ، الخطيب يتلو آيات القرآن الكريم . إذاً أول حقيقة أن الاستماع يعني التطبيق ، لن تكون مستمعاً للقرآن إلا إذا طبقت أحكامه .

((رب تال للقرآن والقرآن يلغنه))

[ورد في الأثر]

التولي والتخلي :

ثم يقول الله عز وجل :

(وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ)

(سورة الأعراف)

(تَضَرُّعًا)

أي تذللًا ، القضية أيها الأخوة كلما تذللنا إلى الله رفعك الله ، وكلما استعليت خفضك الله ، إن أردت العز فتذلل بين يدي الله عز وجل ، هناك درسان خطيران درس بدر ، ودرس حنين ، درس بدر بليغ جداً ، ونحتاجه جميعاً ، ودرس حنين خطير جداً ،



ونحتاجه جميعاً ، في درس بدر هناك افتقار إلى الله ، افتقروا إلى الله :

(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ)

(سورة آل عمران الآية : ١٢٣)

بدر افتقروا إلى الله فلما افتقروا إلى الله عز وجل نصرهم ، وفي حنين اعتمدوا على كثرتهم قال :

((وَلَنْ يُغْلِبَ اثْنَا عَشَرَ ألفًا مِنْ قَلِيلَةٍ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس]

فلم ينتصروا ، الملخص : إذا قلت أنا تخلقى الله عنك ، قلت أنا بمالي ، بقوتي ، بمنصبي ، بعلمي ، بشهادتي ، بأسرتي ، بمركزي بالمجتمع ، بتاريخي ، إذا قلت أنا تخلقى الله عنك وإذا قلت الله تولاك بالرعاية .

من تذلل لله رفعه :

إذا

(وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا)

مع الله عز وجل في افتقار ، كلما ازددت افتقاراً له رفعك ، وأعلى قدرك ، ورفع ذكرك ، أعلى شأنك ، هابك أعداؤك ، بل خدمك أعداؤك ، وكلما استعليت على طاعته أذللك الله .

اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت فإذا اعتزرت بمن يموت فإن عزك ميت

* * *

((سبحانك إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت))

مستحيل وألف ألف مستحيل أن تطيعه وتخسر ، ومستحيل وألف ألف مستحيل أن تعصيه وتريح .

(وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ)

لذلك :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا)

(سورة الأحزاب)

المناجاة بين العبد و ربه مسعدة لاتصاله مع خالق السماوات و الأرض :

أيها الأخوة ، المنافقون قال الله تعالى عنهم :

(وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)

(سورة النساء)

لذلك ورد في بعض الأحاديث :

((من أكثر من ذكر الله فقد برئ من النفاق))

[ابن شاهين في الترغيب في الذكر عن أبي هريرة]

((من حمل سلعته فقد برئ من الكبر))

[القضاعي والديلمي عن أبي أمامة]

((برئ من الشح من أدى زكاة ماله))

[أخرجه ابن مردويه عن جابر بن عبد الله]



(وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا)

اجعل لك ساعة تناجي بها ربك ، تتذلل له ، يا رب أنا فقير وأنت الغني ، أنا ضعيف وأنت القوي ، أنا جاهل وأنت العليم ، يا رب ارحم ضعفي ، ارحم ذلي بين يديك ، هذه المناجاة بينك وبين الله مسعدة ، لأنك تتصل مع خالق السماوات والأرض .

(وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً)

ورد :

((أن يا رب أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك ؟ قال : أحب عبادي إليّ تقي القلب ، نقي اليدين ، لا يمشي إلى أحد بسوء ، أحبني ، وأحب من أحبني ، وحببني إلى خلقي ، قال : يا رب إنك تعلم أنني أحبك ، وأحب من يحبك ، فكيف أحببك إلى خلقك ؟ قال : ذكرهم بآلاني ، ونعمائي ، وبلائي))

[من الدر المنثور عن ابن عباس]

ذكرهم بآلاني كي يعظموني ، وذكرهم بنعمائي كي يحبوني ، وذكرهم ببلائي كي يخافوني .

ذكر الله علامة الإيمان :

المؤمن الصادق بقلبه تعظيم الله ، بقلبه محبة الله ، بقلبه خوف من الله ، في أمراض ، في أورام ، في فشل كلوي ، في خثرة بالدماغ ، في شلل ، في بلاء مخيف ، في صحة ، في راحة نفسية ، في زوجة سالحة ، في أولاد أبرار ، في دخل وفير ، وفي أشياء تحملك على محبة الله ، وفي آلاء ، وفي مجرات ، وفي كواكب تدعوك إلى تعظيم الله .
إذاً ذكر الله علامة الإيمان .

((من أكثر من ذكر الله فقد برئ من النفاق))

[ابن شاهين في الترغيب في الذكر عن أبي هريرة]

دوران الذكر مع الإنسان في كل شؤون حياته :

والأمر بالذكر لا ينصب على الذكر فقط بل على كثرة الذكر لقوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا)

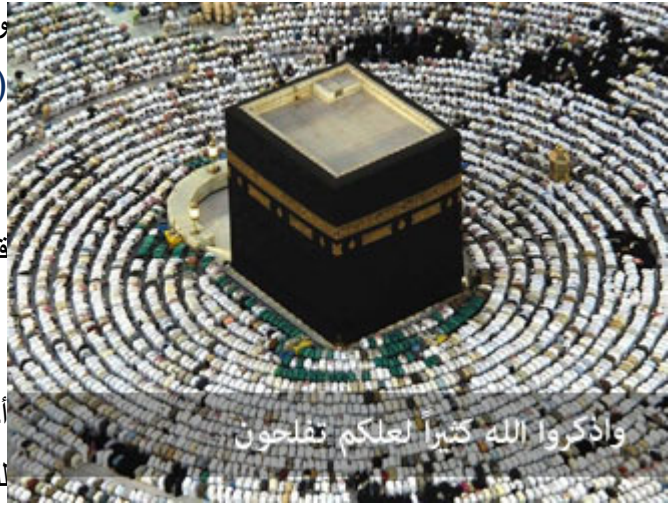
لكن بالمناسبة قراءة القرآن ذكر ، والاستغفار ذكر ، والدعاء ذكر ، والتسبيح ذكر والتهليل ذكر ، والتكبير ذكر ، والتمجيد ذكر ، وقراءة كتاب العلم من أجل أن تعرف الله ذكر ، والدعوة إلى الله ذكر ، والأمر بالمعروف ذكر ، والنهي عن المنكر ذكر ، لذلك الذكر يدور مع الإنسان في كل شؤون حياته ،

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا)
(وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً)

وكما قال الله عز وجل :
(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)
(وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

(سورة العنكبوت الآية : ٤٥)
قال علماء التفسير : أكبر ما فيها :
(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

(سورة طه)
أكبر ما فيها ، وقال بعضهم : ذكر الله
لك في الصلاة أكبر من ذكرك له ، إنك



إن ذكركه أديت وأحب العبودية له ، أما إذا ذكرك منحك الحكمة .

(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)

(سورة البقرة الآية : ٢٦٩)
يعني الصلاة الصحيحة تعني أنك حكيم ووقفت كي تصلي وذكرت الله ، فأنت حينما تذكره يذكرك ، يذكرك بأن يهبك الحكمة ، يذكرك بأن يهبك الرضا ، يذكرك بأن يهبك التوفيق ، يذكرك بأن يهبك السداد والرشاد في القول والعمل .
لذلك ثمار الصلاة الصحيحة تفوق حدّ الخيال ، أقل هذه النتائج أنك في حفظ الله وفي رعايته .

إخفاء الذكر أفضل من رفع الصوت وإزعاج الآخرين :

إذا :

(وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا)

أي تذلاً

(وَخِيفَةً)

أي خوفاً ، هذه صفات المؤمن الذاكر .

(وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ)

رفع الأصوات ، وأن تعلق على كل صوت ، يعني الله عز وجل يريد قلبك ، يريد إخلاصك ، يريد مودتك ، يريد محبتك ، لا يريد صوتك العالي .
لذلك :

(وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ)

(وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا)

(سورة الإسراء)

هناك إنسان إذا ما رفع صوته إلى أعلى طبقة ممكنة لا يعد ذاكراً ، لا ، أفضل الذكر إخفاء الذكر ، هناك ذكر بالقلب ، وهناك ذكر باللسان ، لكن بشكل لطيف ، أما رفع الأصوات وإزعاج الناس ، يعني الأذان بالمؤذنة لكن المكبر بشكل معتدل ، لأن هناك مريض ، إنسان يعاني ما يعاني ، فرفع الصوت ، وإزعاج الآخرين ، ليس من الذكر إطلاقاً .

الذكر شحن للإنسان :

(وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)

أنت بحاجة إلى الذكر قبل الذهاب إلى العمل ، بالغدو ، وبعد العودة من العمل ، بحاجة إلى ذكر يومي وإن الصلاة ذكر ،

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

الذكر شحن ، أنت كهاتف جوال أنت بحاجة إلى شحن يومي صباحاً ومساءً .

(وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)

قبل الذهاب إلى العمل إنسان صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي ، وصلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح ، أنت مغطى برعاية الله مدة أربع و عشرين ساعة .

أكبر مرض يصيب الإنسان أن يكون غافلاً عن الله عز وجل :

(وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ)

أكبر مرض يصيب الإنسان أن يكون غافلاً عن الله .

أيا غافلاً تبدي الإساءة و الجهل متى تشكر المولى على كل ما أولى

عليك أياديه الكرام وأنت لا تراه كأن السعين حولاء أو عميا

لأنك كمزكوم حوى المسك جيبه ولكن المحرم ما شممه أصلاً

(وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ)

الغفلة أخطر ما يصيب الإنسان لذلك قال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ)

(سورة الأعراف)

العندية هنا ليست عندية مكانية ، الله عز وجل فوق المكان والزمان ، هو خالق المكان والزمان ،
عندية قرب من الله

(إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ)

الملائكة المقربون ،

(لَّا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ)

التسبيح التعظيم ، التسبيح التمجيد ، التسبيح التنزيه ، إذا قلت سبحان الله فقد مجدته ، وإذا قلت
سبحان الله فقد نزهته عن كل نقص ، وإن قلت سبحان الله فقد عظمته ، التمجيد والتنزيه و التعظيم.

(وَلَهُ يَسْجُدُونَ)

يخضعون ، المؤمن لا يخضع لله وحده .

أيها الأخوة الكرام ، بهذا الدرس انتهت سورة الأعراف بتوفيق الله وفضله الكريم .

والحمد لله رب العالمين